جامعة عين شمس

اتجاهات الإصلاح في "التفسير الحديث" لـ"محمد عزة دروزة"
دراسة تحليلية

رسالة مقدمة من

محمد حسن إبراهيم حسن إبراهيم

لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية

"شعبة الدراسات الأدبية والنقدية"

إشراف

أ. د. محمد إبراهيم الطاووس / د. سعيد البسطويسي

١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

*** الإهداء**

إلى أبي وأمي، وهما وصية الله عزوجل لعباده، **قال تعالى:** ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً**﴾. **العنكبوت: ٨.** وقد أحسنا إلي إيجادًا وتربية ورعاية ودعاءً، فلا أملك لهما إلا أن أدعو لهما بما **علمني ربي عزوجل:** ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾. **الإسراء: ٢٤.** وأسأله سبحانه أن يرزقني برهما ظاهرًا وباطنًا، في حياتهما ومماتهما، وأن يعصمني من عقوقهما ظاهرًا وباطنًا.

كما أهدي هذا العمل لزوجتي الغالية، التي قامت بتضحيات كثيرة جدًا من أجل الوصول لهذه اللحظة، وكانت مساندتها ودعمها لي حافزًا قويًا على تخطي كثير من الأمور والصعوبات التي واجهتني في الدراسة والتحصيل والكتابة، بل وفي حياتي أيضًا، فقد وجدتها زوجة صالحة تقية مخلصة، وأمًا فاضلة مربية لأبنائي الأربعة، حبيبة وعمر ومريم وصهيب، بارك الله فيها وفيهم وجعلهم من عباده الصالحين. اللهم آمين.

الفهرس

الإهداء.....أ

الفهرس.....ب

شكر وتقدير.....ج

المقدمة.....١

الدراسات السابقة.....٥

التمهيد.....١٨

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح وحقوله الدلالية.....١٩

المطلب الثاني: ضرورة الإصلاح وأهميته.....٣٦

المطلب الثالث: اتجاهات الإصلاح.....٤٤

المطلب الرابع: أصول الإصلاح النظرية عند دروزة.....٦٥

المطلب الخامس: ترجمة محمد عزة دروزة.....٧١

الفصل الأول: إصلاح الأفراد.....٧٨

تمهيد: إصلاح الأفراد أصل في إصلاح المجتمع.....٧٩

المبحث الأول: إصلاح العقيدة وهي في إصلاح العقل والفكر.....٨١

المطلب الأول: إصلاح الفكر وعلاقته بالعقيدة.....٨٥

المطلب الثاني: مكانة العقل والتفكير في الإسلام.....٨٩

المطلب الثالث: منهج الإسلام في تغيير الأفكار ومخاطبة العقل والفكر.....٩٨

المطلب الرابع: إصلاح العقل والفكر.....١٠٥

المطلب الخامس: إصلاح الاعتقاد.....١٣٨

المبحث الثاني: إصلاح الأفراد في جانب العبادات.....١٦٠

المبحث الثالث: إصلاح الأفراد في جانب الأخلاق.....١٧٩

المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام وعلاقتها بغيرها.....١٨٠

المطلب الثاني: كيفية غرس الإسلام الأخلاق في نفوس أتباعه.....١٩٠

الفصل الثاني: الإصلاح الاجتماعي.....٢٠٤

المبحث الأول: إصلاح السلوك الاجتماعي من عادات وتقاليد.....٢٠٧

المبحث الثاني: إصلاح السلوك الاجتماعي في العلاقات بين الناس.....٢٠٩

الفصل الثالث: الإصلاح السياسي.....٢٢٠

تمهيد..... ٢٢١
المبحث الأول: النظام السياسي الداخلي للدولة ورئيسها عند دروزة..... ٢٢٢
المبحث الثاني: الشورى وأهل الحل والعقد عند دروزة..... ٢٤٢
المبحث الثالث: إصلاح العلاقة بين الحاكم والمحكومين..... ٢٥١
المبحث الرابع: إصلاح علاقة المسلمين مع غيرهم..... ٢٥٧
المطلب الأول: إصلاح العلاقة المسلمين وغير المسلمين في إطار الدولة الإسلامية..... ٢٥٧
المطلب الثاني: إصلاح العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى..... ٢٦٠
الفصل الرابع: الإصلاح الاقتصادي..... ٢٦٤
تمهيد..... ٢٦٥
المبحث الأول: النظام الرأسمالي..... ٢٧٥
المبحث الثاني: النظام الاشتراكي..... ٢٧٩
المبحث الثالث: موقف الإسلام من الرأسمالية والاشتراكية..... ٢٨٧
الفصل الخامس: الإصلاح التربوي والتعليمي..... ٢٩٦
تمهيد..... ٢٩٧
المبحث الأول: دور القدوة في التربية..... ٣٠٤
المبحث الثاني: مسئولية التربية..... ٣١٠
المبحث الثالث: الإصلاح التعليمي..... ٣١٩
المبحث الرابع: سبل الإصلاح التعليمي عند دروزة..... ٣٢٣
الخاتمة..... ٣٢٣
توصيات..... ٣٣٤
قائمة المصادر والمراجع..... ٣٣٥
الملخص..... ٣٦٥

* شكر وتقدير

انطلاقًا من قول النبي ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"[1].

أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الطاووس، على ما قدم من نصائح غالية، كانت لي خير عون على كتابة هذه الصفحات، وقد وجدته أبًا رحيمًا كريمًا لا يبخل عليَّ ولا على أحدٍ من طلابه بنصيحة ولا توجيه، وإلى الدكتور / سعيد البسطويسي، الذي وجدته نِعمَ الأخ الأكبر، وقد استفدت منه كثيرًا جدًا، لا أقول في هذه الرسالة فحسب بل في العلوم الشرعية والفهم وسعة الصدر والعمق في البحث. وأتوجه كذلك بخاص الشكر إلى الأستاذ الدكتور / إبراهيم محمود عوض، والدكتور / إسماعيل رفعت فوزي، لجهدهما في قراءة الرسالة وبيان ما فيها من ملاحظات وأخطاء كانت من أسباب ظهورها على أحسن الوجوه وأتمها، وأسال الله تعالى أن ينفعنا بعلمهما. وإلى أستاذي وشيخي / أحمد زينهم، الذي كان فضل كبير عليَّ بعد الله عزوجل في طلبي للعلم وفهمي لحقيقته، ودراستي العلمية.

[1] أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة ﷺ برقم (٧٩٣٩)، ١٣ / ٣٢٢، وصححه الأرناؤوط وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الربيع بن مسلم -وهو الجمحي- فمن رجال مسلم. ورواه ابن حبان في برقم (٣٤٠٧)، وصححه، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه الترمذي وصححه برقم (١٩٥٤)، وحسنه من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ برقم (١٩٥٥)، بلفظ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ". ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢١٨)، ص ٩٩.

* المقدمة

لقد منَّ الله تعالى على الأمة الإسلامية أن قيض لها في كل عصر رجالات يسعون إلى إصلاحها ونهضتها في شتى المجالات. ومن هؤلاء المُصلحين العلامة محمد عزة دروزة المؤرخ والمفسر والمفكر والسياسي، فقد كان من الذين نادوا كثيرًا بضرورة الإصلاح، وأفرد لهذه القضية مساحات في كتبه، وكان مع ذلك شاهدًا ومُشاركًا فعَّالًا في الأحداث السياسية التي عاصرها، وقد عاصر الأتراك والإنجليز والحكم العربي في كلٍ من فلسطين ودمشق وغيرهما من بلاد الشام، وتنقل في الوظائف والبلدان مما أثرى تجربته، وأعلى خبرته. وهو من العلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بجملة من المؤلفات النبيلة المقصد البديعة البيان والترتيب، اعتمد في تأليفها على قراءاته الواسعة للتراث الإسلامي والتاريخ، وخبرته الكبيرة بالواقع، سواء السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي، وقد كان لهذا أثر في كتاباته وآرائه. فخرجت كتبه تنبض بالعلم والإيمان وتدعو إلى التمسك بالقرآن العظيم قراءة وتدبرًا وفهمًا وعلمًا وعملًا، وفهم السيرة النبوية فهمًا مستقيمًا صحيحًا، ليكون هذا الفهم نبراسًا للأمة للنهوض والرقي كما كانت قبل ذلك. وجدير بالذكر أن الرجل قد كرّم في غير قطر، وأجريت حوله مؤلفاته دراسات متعددة، سوف أذكرها في الموضع المناسب من الدراسة إن شاء الله. ومن مؤلفات دروزة "التفسير الحديث"، الذي بيَّن فيه اتجاهات الإصلاح في القرآن الكريم.

* أسباب اختيار الموضوع

لقد اخترتُ الجانبَ الإصلاحي من بين جوانب "التفسير الحديث" لاهتمام دروزة الشديد بقضاياه وسبله، وقد نبه إلى ذلك في مقدمة التفسير، بل ذكر أن هذا هو مقصوده الأساسي من تأليفه؛ فقد كان الرجل مشغولًا بهذا الجانب كغيره من المفكرين الذين كانوا يطمحون إلى رقي مجتمعاتهم وتقدمها في كل مجالات الحياة. ومن هنا كان البحث في "التفسير الحديث" وإبراز جوانب الإصلاح التي ذكرها دروزة خدمة للكتاب العزيز وتفسيرٍ من تفاسيره، وخدمة للأمة من جهة بيان تلك الجوانب.

* إشكالية الدراسة

تتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية: هل تضمن التفسير الحديث اتجاهات الإصلاح مما استلهمه المؤلف من النص القرآني، بما يرسم لنا الطريق الواضح الذي يكشف لنا عن القواعد الإصلاحية للمجتمعات؟ ما هو منهج دروزة في قضية الإصلاح؟ وكيف وجَّه دروزة الآيات القرآنية نحو الإصلاح المنشود؟ هل تأثر دروزة بعلماء قدامى أو معاصرين في عملية الإصلاح؟ هل هناك فرق في كيفية الإصلاح وقواعده وأصوله بين دروزة وغيره من المصلحين؟

* أهداف الدراسة

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة قواعد الإصلاح وأسسه عند دروزة في تفسيره "التفسير الحديث"، وإبراز الجوانب والميادين الإصلاحية فيه، ومحاولة توظيفها في عملية الإصلاح المعاصرة لتكون قدوة للمصلحين المعاصرين. مع الوقوف على مدى رؤيته للسبل التطبيقية الوصول إلى ما يصلح المجتمع في مختلف الجوانب، من وجهة نظره.

* منهجية الدراسة

سوف أتتبع عن طريق الاستقراء آراء دروزة الإصلاحية في "التفسير الحديث" لتركز موضوع الدراسة عليه، مع الاستعانة بباقي كتبه؛ لأنه ربما يعرض مجمل فكرته في تفسيره ويبينها تفصيلًا في كتاب آخر، وربما يشير إليها في التفسير وينصُّ عليها في كتبه

الأخرى، ثم أذكر تلك الآراء مع تحليلها والآثار المترتبة عليها عنده، ثم النظر في مدى موافقتها للشريعة أو مخالفتها، مع الرجوع إلى أفكار غيره من المصلحين للوقوف على مدى الاتفاق بينه وبينهم أو الاختلاف.

وسوف أعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها ببيان اسم السورة ورقم الآية. وأما الأحاديث فما كان منها في البخاري أو مسلم اكتفيت بالعزو عليهما، وإن كان الحديث في غيرهما رجعت إلى كتب الحديث للوقوف على صحة الحديث من ضعفه.

وطلبًا للاختصار في الحواشي فسوف أقتصر على ذكر المؤلف، واسم الكتاب، على وجه الاختصار، والجزء والصفحة، وأما باقي بيانات الكتاب فستكون بإذن الله تعالى في قائمة المصادر والمراجع بالتفصيل. وكذلك عند الإشارة إلى المصلحين الآخرين وفاقًا لدروزة أو خلافًا، أو في عرض أفكارهم وآرائهم، سوف أقتصر على المُصلحين في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ وذلك لأنه ينتمي فكريًا إلى هذا الجيل، ومعالجته لقضايا الإصلاح متعلقة بالعصر الحديث فناسب ذلك تحديد تلك الحقبة للدراسة، وكذلك لعدم تشعب الكلام وإطالته؛ لأن المصلحين من السلف وإلى يوم الناس هذا لا يُحصون كثرة.

وأنبه أيضًا إلى أنني سوف أجعل القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، وكذلك كلام دروزة بـ"بنط عريض"، وسوف أفعل ذلك في بعض كلامي أيضًا، وذلك لتمييز كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وكذلك لتمييز دروزة عن غيره، لأنه في بعض الأحوال سوف أضم كلامه مع كلام غيره وأذكرهما في سياق واحد.

* أهمية الموضوع

إن الإصلاح في جميع مجالاته أخذ حيزًا كبيرًا في الشريعة، بما لا يدع مجالًا للشك أنه قد تبوأ مكانة عالية في الدين الإسلامي، ويكفي للدلالة على ذلك أنه يتعلق بأشرف وظيفة وأكرم البشر؛ فقد كانت مهمة الرسل وزبدة رسالاتهم إصلاح ما فسد من عقائد الناس وسلوكهم، بل ونرى ذلك أيضًا في اقتباس النظم القانونية بعضًا من أحكام الشريعة في هذا الجانب.

ولقد استفاض العلماء على مختلف اتجاهاتهم الفكرية في الكتابة عن الإصلاح والتنبيه على أهميته، والتحذير من الفساد، وهذا الموضوع من هذه الجهة يصح أن يُطلق عليه أنه قديم جديد؛ فما يزال العلماء والمصلحون في زماننا ينادون بالإصلاح، ويصنفون فيه، ويتحدثون في شأنه في الوسائل الإعلامية، المسموعة والمقروءة والمرئية. ومما يزيد في أهميته أن أنفع البحوث العلمية ما تعلقت به حاجة الناس، وهذا الموضوع لا شك في شدة احتياج الناس جميعًا إليه. ومن هنا وجدتُ أن الكتابة في اتجاهات الإصلاح، لاسيما عند مفكر كبير من مفكري المسلمين المعاصرين، وفي كتاب من كتبه الكبيرة، وهو "التفسير الحديث"؛ سيثري معرفتي بهذا الباب العظيم من العلم، وسيقدم شيئًا يخدم المجتمع، وسيُظهر فكر "دروزة" في هذا الجانب، وسيكون خدمة لتفسيره، الذي يحتاج إلى عناية من الباحثين لكثرة ما فيه من العلوم التي تحتاج إلى من يشمر عن ساعد الجد لدراستها.

* خطة البحث

سوف تتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة مقسمة كالآتي:

*** مقدمة:**

*** تمهيد: وفيه أذكر ما يتعلق بدروزة والإصلاح الاجتماعي، ويشتمل على خمسة مطالب:**

*** المطلب الأول: مفهوم الإصلاح وحقوله الدلالية**

*** المطلب الثاني: ضرورة الإصلاح وأهميته**

* المطلب الثالث: اتجاهات الإصلاح
* المطلب الرابع: أصول الإصلاح النظرية عند دروزة
* المطلب الخامس: ترجمة محمد عزة دروزة

* الفصل الأول: إصلاح الأفراد، ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:
* تمهيد: إصلاح الفرد أصل في إصلاح المجتمع

* المبحث الأول: إصلاح الاعتقاد وهو في إصلاح العقل والفكر: وفيه خمسة مطالب:
* المطلب الأول: إصلاح العقل والفكر وعلاقته بالعقيدة

* المطلب الثاني: مكانة العقل والتفكير في الإسلام

* المطلب الثالث: منهج الإسلام في تغيير والأفكار ومخاطبة العقل والقلب

* المطلب الرابع: إصلاح العقل والفكر

* المطلب الخامس: إصلاح الاعتقاد

* المبحث الثاني: إصلاح الأفراد في جانب العبادات

* المبحث الثالث: إصلاح الأفراد في جانب الأخلاق: ويشتمل على مطلبين:
* المطلب الأول: مكانة الأخلاق في الإسلام وعلاقتها بغيرها

* المطلب الثاني: كيفية غرس الإسلام الأخلاق في نفوس أتباعه

* الفصل الثاني: الإصلاح الاجتماعي ويشتمل على مبحثين:
* المبحث الأول: إصلاح السلوك الاجتماعي من عادات وتقاليد
* المبحث الثاني: إصلاح السلوك الاجتماعي في العلاقات بين الناس

* الفصل الثالث: الإصلاح السياسي ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

* المبحث الأول: النظام السياسي الداخلي للدولة ورئيسها عند دروزة

* المبحث الثاني: الشورى وأهل الحل والعقد عند دروزة

* المبحث الثالث: إصلاح العلاقة بين الحاكم والمحكومين

* المبحث الرابع: إصلاح علاقة المسلمين مع غيرهم: وفيه مطلبان:

* المطلب الأول: إصلاح العلاقة المسلمين وغير المسلمين في إطار الدولة الإسلامية

المطلب الثاني: إصلاح العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى

* الفصل الرابع: الإصلاح الاقتصادي ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

* المبحث الأول: النظام الرأسمالي

* المبحث الثاني: النظام الاشتراكي

* المبحث الثالث: موقف الإسلام من الرأسمالية والاشتراكية

* الفصل الخامس: الإصلاح التربوي والتعليمي ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

* المبحث الأول: دور القدوة في التربية

* المبحث الثاني: مسئولية التربية

* المبحث الثالث: الإصلاح التعليمي

* المبحث الرابع: سبل الإصلاح التعليمي عند دروزة

* الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات

* قائمة المصادر والمراجع

* الدراسات السابقة

لقد كان لموضوع الإصلاح أهمية كبيرة عند العلماء قديمًا وحديثًا، ومن ثمَّ تعددت فيه الدراسات العلمية وتنوعت ما بين دراسة عامة للإصلاح من خلال الكتاب والسنة، أو من خلال دراسة سورة من سور القرآن الكريم، أو دراسة لشخصية من أعيان المصلحين، أو كتبهم، وسوف أعرض في هذا المقام جملة منها؛ لأن حصرها متعذر لكثرتها، فضلًا عن ذكرها جميعًا:

أولًا: الدراسات السابقة المتعلقة بدروزة وآرائه وكتبه وخصوصًا "التفسير الحديث":

١- د. فريد مصطفى سلمان، محمد عزة دروزة ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، ١٩٨٢م.

تقع هذه الرسالة في خمسمائة وتسع صفحات مع مقدمة ثمان صفحات؛ وهي عرض ونقد لـ"التفسير الحديث"، وإن كان الغالب فيها الروح النقدية، كما ظهر من تصريح الكاتب في صدر سالته. والرسالة مُقسمة إلى بابين، وفيهما سبعة عشر فصلًا. أما الأول فقد خصَّه بالكلام عن ترجمة كاملة لدروزة وبيئته، السياسية، والثقافية، والحركة العلمية، والدينية في عصره، ثم تكلم عن تفسيره، وفكرة وضعه. وأما الباب الثاني فقد تناول فيه مصادره في التفسير، وبعض الجوانب التفسيرية، وتكلم عن دروزة والمفسرين وعلاقته بعلم الكلام، وأسباب النزول، وعرض ترتيبه للسور وجدوى هذه الطريقة، وأسرار الترتيب، ثم عرض دراسة تطبيقية للإسراء والمعراج، وتناول الوسائل والغايات التي تكلم عنها دروزة في صدر تفسيره - الغايات هي المقصودة من القرآن الكريم، والوسائل سبيل للوصول إليها - ثم تناول آراءه في العقائد، في ذات الله وصفاته والقضاء والقدر والملائكة، والوحي، ثم عرض بالتفصيل قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة، ثم تكلم عن آرائه الفقهية كالجهاد ومكانة المرأة وعملها، ثم تناول الآيات الكونية، كمعارف العرب وخلق الإنسان، وآراءه في علوم القرآن، مثل جمعه وإعجازه، ثم بعض المفاهيم والمصطلحات، كالصابئة والقرآن والله، ثم عرض الجانب الإصلاحي، كرأيه في الشيعة، وموقفه من حركة محمد بن عبدالوهاب، والمستشرقين، ثم بيَّن البيئة النبوية وأهل الكتاب، وهذه مسألة أولى لها دروزة في تفسيره أهمية كبيرة، وأخيرًا الآيات المحكمات.

وظهر لي من خلال مطالعة الرسالة أن المؤلف كأنه أراد أن يستقصي ما ورد في "التفسير الحديث"، فذكر أمورًا كثيرة جدًا تعرض لها دروزة في تفسيره، وقد كان تركيزه في ذلك في الأعم الأغلب على نقد بعض أفكار دروزة، وقد تجلى ذلك في مقدمة رسالته، بل كان صُلب الرسالة السابقة وعمادها النقد، حتى إنه في بعض المواضع انتقده نقدًا لاذعًا، ولعله ابتعد بذلك عن المنطق العلمي الأكاديمي، بل وحمَّل كلام دروزة في بعض المواضع ما لا يتحمله.

وهذه الرسالة لها أهمية كبيرة؛ فقد كُتبت في حياة دروزة، وكانت هناك مقابلات واتصالات بينهما، وقضى المؤلف عند دروزة وقتًا أمكنه من وضع تصور عنه وعن آرائه، وناقشه في بعض المسائل التي أوردها في كتابه ورأى أن دروزة قد جانبه الصواب فيها.

وقد استفدتُ منها في معرفة منهج دروزة في تفسيره وكتبه، وآرائه في كثير من المسائل.

٢- حسن عبدالرحمن محمد أحمد، جهود محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى التفسير الحديث، رسالة دكتوراه بكلية الآداب عين شمس، ١٩٨٤م.

تقع الرسالة في أربعمائة وخمسة وأربعين صفحة، وقد تناولت الكلام عن الاتجاهات السياسية والفكرية في عصر دروزة، وحياته ونشاطه السياسي والوطني والعلمي، ثم تفسيره الموسوم بـ"التفسير الحديث"، وترتيبه ومنهج مؤلفه، واعتماده على السنة

النبوية، ونحو ذلك من المباحث المتعلقة بـ"التفسير الحديث"، ثم ذكر آراء دروزة وأفكاره وأطروحاته في مجالات متعددة؛ والتي جاءت في تفسيره، وكتبه الأخرى، ومقالاته، ومنها بعض جوانب الإصلاح المذكورة في "التفسير الحديث".

وهذه الرسالة لها أهمية خاصة كسابقتها؛ لأن كاتبها كان على علاقة وثيقة بدروزة، فقد استضافه عنده، وأمده بما يحتاجه من معلومات عن حياته وآرائه وأفكاره وكتبه ومقالاته، وفتح له مكتبته الخاصة، وكانت بينهما مراسلات متواصلة، ورسائل صوتية مسجلة، وكل هذا وغيره مما يميز هذه الرسالة؛ إذ من التقى به وأخذ عنه وجالسه وتحدث معه لاشك أعلم به من غيره الذي يعمد إلى الكتب ينقل منها، مما يضفى على هذه الرسالة مزيدًا من المصداقية والثقة[1]. وبالرغم من علاقتهما المتينة إلا أنه لإنصافه وأمانته العلمية قد خالفه في بعض آرائه في التفسير وغيره وناقشه فيها، ووافقه فيما رآه حقًا وصوابًا من وجهة نظره.

وقد استفدتُ منها استفادة بالغة في الموضوعات التي تطرقت إليها، مع معرفة المنهج العلمي لدروزة فيها.

ولهذا؛ فإني أرى أنه لا غنى عنها لأي باحث في فكر دروزة وأعماله وآرائه وحياته والفترة التي عاش فيها عن هذه الرسالة.

وأما ما سأضيفه عن "التفسير الحديث" ودروزة زيادة عما سبق؛ فبيانه في الآتي:

أولًا: تتركز دراستي على الاتجاهات الإصلاحية في "التفسير الحديث"، ومن ثم فلن أتطرق للموضوعات المتعددة التي جاءت في الرسالتين السابقتين؛ كالبحث التاريخي المبين للبيئة التي نشأ فيها دروزة وأثرها عليه، فهذا وإن كان مهمًا فإني أرى أني قد كُفيت هذا الجانب بغيري، ومن هنا فتركه أولى تجنبًا للتكرار. وكذلك لن أتكلم عن مصادر "التفسير الحديث" وطريقة تأليفه، ومنهج دروزة فيه كاستعماله للغة واستعانته بالحديث، واتجاهه الفقهي، وموقفه من التفسير العلمي، وعلوم القرآن عنده، ونحو ذلك.

ثانيًا: في الدراستين السابقتين تكلم الكاتبان عن موقف دروزة من المسائل الاعتقادية من جهة التأويل وغيره؛ وسوف تتركز دراستي على إصلاح العقيدة ودورها في إصلاح الفرد والمجتمع.

ثالثًا: أما بالنسبة لاتجاهات الإصلاح: فإن الرسالة الأولى لم تتناول الجانب الإصلاحي عند دروزة على الوجه الذي سأسير عليه، وإنما غاية ما جاء فيها ثلاث عشرة صفحة فقط، وعند النظر في القضايا التي طُرحت- وهي أربع - وجدتُ أن الكلام عن رد دروزة على الشيعة والمستشرقين ربما يكون موجهًا إلى طائفة مخصوصة من الناس وكان بطريقة تنظيرية. وأما ما يتعلق برأيه في حركة محمد بن عبدالوهاب وثنائه عليه فذلك لأنهما يشتركان في تحذير الأمة من خطورة البدع والخرافات. وأخيرًا إبراز الحكمة من الأحكام؛ فأرى أن هذه الجزئية ليست من قضايا الإصلاح وإنما تدخل في التدبر أو إعمال الفكر في القرآن الكريم.

ولذا؛ فإني أرى أن ما ذُكر في الرسالة السابقة فيه نظر من جهة إدراجه في عنوان "الجانب الإصلاحي". ولقد تمنى الكاتب في رسالته لو أن دروزة صرف عنايته لبيان حلول مشكلات العصر دون الخوض في العقائد وعلوم القرآن؛ لأنه أجاد في عرض النظم الإسلامية والسيرة النبوية[2]؛ ولأنه يرى من وجهة نظره أن دروزة أخطأ لما تصدى للكلام عن العقيدة ونحوها من القضايا التي خالفه فيها، والإنصاف يقتضي مني أن أذكر أن دروزة كتب كثيرًا في الجوانب الإصلاحية، والبحث عن حلول لمشكلات العصر.

---

[1] وقلنا: "مزيدًا من المصداقية والثقة": لأنه ينبغي التنبه إلى أنه ليس شرطًا أن من جالس الشخص يكون أعلم به من غيره ممن لم يجالسه؛ لأنه قد يجالسه ولا يفهم مراده بالشكل الصحيح، وفي هذه الحالة يبقى ما كتبه الشخص شاهدًا على فكره. وفي حالتنا هذه عَرَفَ الكاتبُ مقصود دروزة على الوجه الصحيح بما يطابق ما كتبه دروزة في كتبه ومقالاته.

[2] فريد مصطفى سلمان، محمد عزة دروزة ومنهجه في التفسير، ص ٤٧٠.

أما الرسالة الثانية فقد ركزت على بعض جوانب الإصلاح التي ذكرها دروزة في تفسيره وكتبه، كتحرير المرأة والإصلاح الاقتصادي والعلاقة بالتمدن الغربي، وهذه من جوانب الإصلاح بلا شك ولكنها ليست كل الجوانب، ولهذا فما أقدمه قد ركزتُ فيه على الجوانب الأساسية للإصلاح، كإصلاح الأفراد والمجتمع، والإصلاح السياسي والاقتصادي والتربوي والتعليمي.

رابعًا: لم يأت في الرسالتين السابقتين بيان أهمية الإصلاح وضرورته للأمة وذكر أصوله النظرية عند دروزة؛ وهذا ما سأذكره.

خامسًا: محاولة بيان معالم سبل إصلاح المجتمعات الإسلامية، فدروزة كان شغوفًا بظهور أفكاره على أرض الواقع، إذ ليست الغاية في استنباط فكره الإصلاحي وإنما في تطبيق أصوله النظرية في الإصلاح على المجتمعات الإسلامية.

٣- عبدالحكيم محمد أنيس، التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٣م.

وهذه الرسالة لم يتسن لي الاطلاع عليها؛ ولكن يسَّر الله تعالى الاطلاع على كتاب ذكر رسالتين مؤلفتين عن دروزة، الرسالة قبل السابقة وهذه، وأنا أنقل ما كتبه مؤلف الكتاب عن هذه الرسالة: "وتتميز هذه الرسالة بمنهج استقرائي إحصائي، تتبع الباحث فيها المفسر في أفكاره وآرائه، وناقشه مناقشة هادئة في أغلب الأحيان، وأظهر أغلب نواقض طريقته في التفسير، كما تعرَّض لأفكاره الخاصة، وناقش بعضها وبيَّن وجه الحق فيها، واقتصر عمله في بعض الأحيان على العرض دون المناقشة. والرسالة إضافة إلى ذلك تحتوي على فوائد كثيرة تبرهن على سعة إطلاع وثقافة الباحث"[١].

٤ - محمد علي لسان فشاركي، نقد ودراسة التفسير الحديث تأليف محمد عزة دروزة، جامعة إعداد المدرسين، طهران.

لم يتسن لي الاطلاع عليها، فليست متوافرة بين يدي، ولم أعثر على نسخة إلكترونية.

مقال:

٥- الحكيم سيد منذر، التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، مجلة الحياة الطيبة، بيروت، السنة الثالثة١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م، العدد ٨.

لم يتسن لي أيضًا الاطلاع عليه، وقد جاء ذكره على الشبكة العنكبوتية.

وبعد بيان ما يتعلق بدروزة سوف أذكر الرسائل والكتب التي اعتنت بالإصلاح والمصلحين، وأشير إلى أنني سوف أذكر ما تضمنته تلك الرسائل والكتب وأهميتها ووجه الاستفادة منها جملة في آخر الكلام عن الدراسات السابقة وذلك لما بينها من قواسم مشتركة، وأما ما تفردت به أي رسالة منها عرَّفتُ بذلك في موضعه.

ثانيًا: هناك رسائل علمية اعتنت بالإصلاح في القرآن الكريم، أو اعتنت بالإصلاح على وجه العموم، منها:

٦ - فايزة عدلي، الإصلاح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠١٢م.

[١] طه محمد فارس، تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة وتقويم، ص ٦٢٩.

تقع الرسالة في مائتين وأربع عشرة صفحة، مقسمة إلى مقدمة وثلاثة فصول. وفيها الكلام عن واقع الأمة وضرورة إصلاحها، ثم عن إصلاح الإنسان والمجتمع من خلال السياق القرآني، وفيها تطبيقات من قصص الأنبياء والواقع.

٧ - فايز حسان أبو عمرة، الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٤م.

تقع الرسالة في ثلاثمائة وخمس وسبعين صفحة، مقسمة إلى تمهيد، وثلاثة فصول. الفصل الأول في إصلاح الفرد في السياق القرآني، ودعوة الأنبياء والمرسلين، وأحوال المخالفين للدين الصحيح وموقفهم من الإصلاح، ثم أثر الإصلاح في علاقة الفرد بربه. والفصل الثاني عرضٌ لإصلاح المجتمع في السياق القرآني، وعرض تاريخي لواقع الأمة قبل البعثة وبعدها، وإصلاح الأسرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعض الحدود التي يؤدي تطبيقها إلى استقرار المجتمع. والفصل الثالث عرضَ فيه المؤلف أثر الإصلاح على الفرد والمجتمع، ووسائل الإصلاح ومحبطاته، ودور العبادات في الإصلاح.

٨ - علاء محمد سعيد، محاولات الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر، ٢٠٠٧م.

تقع الرسالة في ثمانمائة وست عشرة صفحة، مقسمة إلى بابين مع ذكر خلاصة لكل باب، وقد تكلم أولًا في مبحثين كتقدمة للموضوع عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية المرتبطة بالبحث ووجه العلاقة بينها، وذكر حدود الوطن العربي موضوع البحث، ثم عرض نبذة عن تاريخ العرب وحالتهم السياسية والاجتماعية ونحو ذلك. والباب الأول ذكر فيه محاولات أصحاب الاتجاه الغربي الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر، فذكر انتشار الأفكار الغربية في العالم العربي المعاصر، ثم ذكر عددًا من المُصلحين كرفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي ومحمد علي باشا. ثم تكلم عن الفترات الزمنية اللاحقة وما جرى فيها من أحداث إصلاحية، كفترة انتشار الفكرة الاشتراكية، مع ذكر أعلامها أمثال شبلي شميل وسلامة موسى، مع ذكر فترة ثورة ٢٣ يوليو، فتتبع أحداثها والأفكار الدائرة فيها في الوطن العربي كله، مع التعقيب عليها وتحليلها. والباب الثاني ذكر فيه محاولات أصحاب الاتجاه الإسلامي الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر، كحركة محمد بن عبدالوهاب، والجامعة الإسلامية، وجمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والحركة السنوسية، والإخوان المسلمين، والجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، والجبهة القومية الإسلامية في السودان بقيادة حسن الترابي، وأثر كل ذلك على الإصلاح والتغيير في العالم العربي المعاصر. ثم ختم بالكلام عن تقويم لهذه المحاولات، مع الكلام عن فقه الواقع، ونبذ الغلو، ونبذ الفرقة.

٩ - زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، ٢٠٠٤م.

يقع الكتاب في ثلاثمائة وعشرين صفحة، مُقسم إلى مقدمة وأحد عشر فصلًا. ومادة الكتاب في أصلها دراسات وكتابات أنجزها المؤلف منذ سنة ١٩٩٨م، ومعظمها كان مُقدمًا لندوات وحلقات دراسية وأكاديمية، قام بتنظيمها والإشراف العلمي عليها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في إطار برنامجه البحثي حول دراسة تجارب حركات الإصلاح والتغيير، وقد أضاف إليها دراسات أخرى لضبط وإحكام المادة العلمية. والكتاب يتتبع أزمنة فكرية تنتمي إلى أربعة عصور أو مراحل تاريخية، زمن ينتمي إلى العصر الوسيط، وآخر ينتمي إلى العصر الحديث، وثالث إلى ما بعد قيام الدولة العربية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، والأخير ينتمي إلى تحولات العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وقد شهدت هذه الأزمنة تحولات عميقة أثرت على مسارات الفكر الإسلامي، وغيرت من اتجاهاته ومرجعياته. ثم بيَّن المؤلف إجمالًا التطور والتغير في الاتجاهات والأولويات في هذه الأزمنة.

ولما كانت هذه الحركات الإصلاحية تنطلق من التراث وتعتمد عليه فقد أفردت بالبيان والتحليل، فتناول المؤلف الفكر الإسلامي في العصر الوسيط من الغزالي إلى ابن تيمية، والسيد جمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي الحديث، والشيخ محمد عبده وإصلاح الفكر الديني، وعبدالرحمن الكواكبي وفلسفة النهضة والاستبداد، والشيخ محمد رشيد رضا ومآلات الفكر الإسلامي الحديث، والسيد محمد باقر الصدر وبناء التصور الإسلامي الشامل، والشيخ مرتضى المطهري وإحياء الفكر الديني، والشيخ محمد مهدي شمس الدين وتجديد الفكر الديني. ثم خاتمة في ثلاثة فصول تكلم فيها المؤلف عن إشكالية التراث بين المعرفة والمنهج، ثم الحداثة والاجتهاد وهل توجد حداثة إسلامية؟ ثم الاجتهاد في الإسلام، ثم الأخير عن الفكر الإسلامي الجديد، ملامح وقضايا.

١٠ - محمد عمر شابرا، الحضارة الإسلامية أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، ٢٠١٢م.

يقع الكتاب في مائتين وسبعين صفحة، مُقسمٌ إلى تسعة فصول. وقد اعتمد المؤلف بشكل كبير على ابن خلدون ونظريته في التنمية والانحطاط، ويُعد هذا الكتاب دراسة متعددة الاختصاصات، حيث يركز على أسباب انحطاط المسلمين، وطبيعة الأزمة الراهنة التي يمرون بها، ويحدد عناصر رئيسة لإستراتيجية شاملة للإصلاح وإعادة البناء. وبيَّن الكتاب الأسئلة التي لابد لها من إجابة واضحة شافية عن سبب انحدار الأمة، وما العوامل المؤثرة في هذا المقام؟ ثم ذكر بعض العوامل المؤدية إلى نهوضها أو سقوطها. ثم عرض نظرية ابن خلدون في ازدهار الحضارات وانحطاطها وناقشها، مع ذكر العوامل التي ساهمت في انحطاط أو نهضة المسلمين، ثم ذكر آثار ذلك، فبيَّن الانحطاط الاقتصادي والعلمي والاجتماعي، ثم ذكر بعض العبر من التاريخ الإسلامي، وكون الأمة أخفقت في الاستفادة من تلك العبر، ثم ختم بالكلام عن الحاجة إلى الإصلاح.

ثالثًا: الرسائل العلمية التي تناولت موضوع الإصلاح من سور القرآن الكريم:

لقد قام قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، في الفترة من ١٩٩٣م، حتى ٢٠١٥م، بإطلاق مشروع علمي يُعنى بدراسة منهجيات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم، سورة سورة، وهذه الدراسات تذكر ما يتعلق بجوانب الإصلاح من سور القرآن الكريم محل الدراسة، وتسير كلها على وفق منهجية واحدة، فيذكر الباحثون التعريف اللغوي والاصطلاحي للإصلاح وما يتعلق به من مصطلحات كالتغيير ونحوه، مع ذكر وجه الاتفاق والاختلاف بين الإصلاح والتغيير والمصطلحات الأخرى، ومجالات الإصلاح وأساليبه على وجه العموم، ثم يذكرون بعض المسائل العلمية المتعلقة بالسورة محل الدراسة من جهة الاسم وسبب النزول والفضل، وغير ذلك، ثم مجالات الإصلاح في السورة، عقدي، سياسي، اجتماعي، أخلاقي، اقتصادي، إلخ. معتمدين في ذلك على كتب التفسير وآراء العلماء قديمًا وحديثًا في القضايا محل الدراسة. وسوف أذكر بالإضافة إلى هذه الرسائل بعض الرسائل والكتب الأخرى وهي وإن كانت لا تندرج تحت الرسائل العلمية آنفة الذكر التي عرَّفتُ بها؛ فإنها تسير على نفس المنهج تقريبًا، وقد آثرتُ ذكرها في مواضعها لمراعاة الترتيب بين سور القرآن والرسائل العلمية المتعلقة به.

ومن هذه الدراسات التي وقف عليها الباحث ما يلي:

١١- عصام العبد زهد، الإصلاح الاجتماعي في سورة البقرة، رسالة دكتوراه، ١٩٩٣م.

١٢- إسلام محمد سلامة ضهير، منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الفاتحة والبقرة، رسالة ماجستير، ٢٠١٢م.

١٣- ابتسام ديب سمور، منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس، رسالة ماجستير، ٢٠١١م.